هل من دواء

قصيدة اجتماعية نظمها حضرة الشوري رافائيل البستاني في مدرسة الحكمة

أفِقْ من سُباتٍ يا يَراعُ لعلَّما ... اذا استيقظتْ عيناكَ توقظُ نوَّما
أهِبْ بالألى قد أطبق القومُ جفنَهم ... ولا تجزعَنْ من وَغرِ غِرٍّ تحدَّما
فلا ينثني الآسي ويغمد مِبضعاً ... سواءٌ بكى المكلومُ او قد تبسَّما
ولا تكترثْ للعاذلين فانَّما ... يَضجُّ من الشراط مَن قد تورَّما
فخُطَّ على بيض الصحائف راسماً ... صحائفَ سوداً أبكت الشرق عندما

فانها غدونا مُضغةً بافتراسنا ... « ومن اقبحِ الآراء ان نتقسَّما »
فهذا الى زيدٍ يلوذُ لغاية ... وذاك الى عمرٍو ويكرُّ اليهما !!...
فأصبحتِ الاحزابُ فوقَ عديدنا ... وكلٌّ لظلِّ الشحناء في القلب أضرما
فمن ناصبٍ فخَّ الكنيد خِسَّةً ... ومن مُوترٍ قوسَ النفاق ليَنقَما
وكلٌّ يضحِّي بالشعيد وعِرضِه ... ليُسقط نِدّاً او ليُحرزَ درهما

فلا مَبدأٌ ينهى ولا الدينُ وازعٌ ... اذا ما رأى بعضٌ لدى الحَتْل مَغنما
فما كان في الاصباح أبيضَ ناصعاً ... فيُمسي لدى الغايات اسودَ أسحما
لكل ظروفٍ حُلَّةٌ ومَناهجٌ ... فدينٌ وقلبٌ رهنُ ايماء مَن وَما
لقد أيقظَ المَينُ المكوثَ بأرضنا ... وأضحى لإدراك المآرب سُلَّما
اذا قيل هذا الصبح والشمسُ قد بدتْ ... فمعناهُ أرخى الليلُ سُدلاً واظلما...

اذا كلَّلتْ بعضَ الساعي وَضيعَنا ... بنُجحٍ نرى رَوقَيه في كبد السما
وان حال بالرَّانِ في صفوة العلى ... ترآى لعينَينا إلهاً تجسَّما
ويزعمُ مالَ الشعب وِردًا صفا لهُ ... وليسَ الورى الّا لما شاء خُدَّما
وما الناسُ الّا سِلعةٌ رَهنُ امرهِ ... يبيع ويشري من يشاء ومثلما...
وما الدينُ والدُّستور الّا لغيرهِ ... فيغدو ويُمسي آذناً ومُحرَما

ولمَّا دَوَتْ حرَّيةٌ بمسامعٍ ... فقومٌ زها عجباً وآخرُ دمدما
فهذا رأى فيها حواجزَ قد ثنتْ ... يدَيهِ ولم تترك سبيلاً لِفيها

فصاح: عباد الله هبّوا فدينكم يقود اليه الدهر جيشا عرمرما
وتاه أناس يمرحون وننتهم تقول لهم: صرح الشرائع هدّما
فحل وتحريم ودين وسنة طواها زمان قد مضى وتصرما

أتتنا مساواة فأهلا ومرحبا فهل ذلك المعوج يمسي مقوّما؟
وهل دين زيد لا يزال كحاجز يحول اذا ما شاء ان يتقدما؟
وهل اصبح المثري الفخور مساويا ندى العدل والقانون من كان معدما؟
فترجو سراة القوم محوا لوصمة ارتنا من الأرزاء فذا وتوأما
متى ساد في الشعب التساوي تكاتفوا وأزروا بتحزيب وهجر او أنيما

أقاربنا مهلا فالاخاء قد نأى فأذعره هابيل يخبط في الدما
ثواك تراب بالدماء خضبته وشلّت يد أردت بريئا لظلما
لمن يا ترى ذاك المدنّس كامن وتلك المواضي مثل أنياب ارقما؟
فما بالنا اذ كلّما حاول البنا أناس لدثر هبّ قوم ليهدما؟
أتعقل شرق بالاخاء سلامة ألا اسمعوا بتقريب القلوب فسلما

ويا قادة الافكار بالله لازموا ثبارا على نهج من العلم أقوما
فما كلّ من يدري من النحو بعضه تحدثه نفس ليجري مرقما
فلو ترجمت في الغرب اقوال زمرة لقيل أيا بشرك مت لترحما!!!
أنيطوا بعقد القول درّ حصافة أيحظى بدر غير من خاض بحرما؟
ولا تجعلوا تلك الصحائف آلة تدور كما تبغي الرياح وكيفما...

يقولون: فينا قد تشبّ تعصّب نقول لهم: معنى التعصّب أنهما
فان كان ما تعنون حبا موطّدا لدين لنا أولى بذاك تعظّما
وان كان معناه إساءة غيرنا فقد كذب الواشي وأخطأ من رمى
نريق على حدّ الظباة دماءنا ولا نتخطى حدّ ما الله علّما
فطوبى لشعب ظلّ للدين حافظا وويل لمن ازرى بما الله حرّما

على مهل يا جنية الاس انكم سألتم على الدين المقدّس مغنما
تقولون دين وارتقاء بمصرنا نقيضان بل قولان قد قفرا فما

شئتم عن النهج القويم بزعمكم ... فراقوا ببرهان سديد فنفحما
هلمّوا نُجلْ طرفاً بحال وما مضى ... نر الدين للعرفان والعلم منهجا
أليسَ رجالُ الدين في كل أعصر ... مثالاً لمن قد جدّ يبغي تعلما ؟

وقالوا: رجالُ الدين يسعون جهدهم ... لكيما يظلّ الجهلُ فينا مُخيّما
لماذا اذن يا صاح للعلم شيّدوا ... صروحاً لقد كادت تناطح أنجما ؟
فايّ علوم أوصدوا الباب دونها ... وايّ اختراع بات عنهم مكتّما . . . ؟
فلا تركب الأبحار بغية شاهد ... فبيروت تغنينا « وقيتَ من العمى » . .
أتبغي بقاء الجهل في الشعب سائداً ... ومن عينا التدريسُ قد امطر الدما ! !

وقالوا: على ابن الدين تركُ سياسةٍ ... فمن فرضه ان يلزم الصمت أبكما
وليس لهُ قولٌ بتنصيب خالد ... وإسقاط زيدٍ او بأمرٍ تحتّما
فيا سادتي اين المساواة بيننا ؟ ... أبى اللهُ ان يدعو صفيّاً ليُحرَما
فما القولُ في راعٍ تناسى قطيعهُ ... وتنظر عيناه السراحينَ هُجّما ؟
لئن جاز للافراد فكرُ سياسةٍ ... فغرضٌ على ابن الدين ان يتكلّما

وقالوا: وجالُ الدين فيهم نقائص ... « أليسَ رجالُ الدينُ ابناءَ آدما » ؟
وقالوا: يُحبُّ البعضُ منهم تلذّذاً ... « فمن منكمُ قد قامَ يلثمُ عاتما » ؟
وقالوا: يحبّون الفلوسَ وجمعها ... « فمن منكم آوى الكهولَ وأطعما » ؟
وقالوا: فلان زلّ في العمر زلّةً ... « فخذ حجراً يا من برئتَ لترجما »
وقالوا: فلان شوّهتْهُ فظائعٌ ... « نقولُ كما قلتم وما الدينُ أجرما »

دُعيتَ ايا ابن الدين فالبسْ لدعوةٍ ... رداءً نقيّاً بالصلاح مُنمنما
دُعيتَ لتنوير البرايا وهديهم ... لك الويلُ كلّ الويل ان كنت مظلما ! !
ويا ملح ارضٍ كيف تُصلح فاسداً ... اذا كنت عن اصلاح نفسك مُحجما ؟
وكن أيها الآسي ضنانك مداوياً ... تلا يتمالَ القولُ فيك تبكّما . . .
فان كنتَ لا تسعى لنيل فضائلٍ ... وعلمٍ تكُنْ ديناً وربّا مُعظّما

بني الشرق ليس الدينُ سلعةَ تاجرٍ ... ينادي بها صفرُ الاكُفّ ليُقعما
فكم من فتى فيه تسامت ظنونُنا ... فخيّب آمالاً لنفعٍ توهّما

فهذا جفا دينـاً ليملكَ منصباً وذاك لغـايات أحـطَّ وألأمـا
ومنهم كُنودٌ رام كيـدَ رئيسهِ ولا ذنبَ في ذا غير ان كان مُنعما..
ومنهم كطفل لا تجاريهِ أُمـهُ ليلعبَ في نار بكى وتظلَّما...

بني الشرق هُبُّوا من رُقادٍ وغفلةٍ فنترعَ أضغانـاً ونُقعي تقـمـا
لئن نتَّحد يا قوم قلباً وقالباً يذلُّ لنـا صعبٌ فنرجو تقدُّمـا
فهل يُرتجى هَدْيٌ بنور كواكبٍ اذا كان أُفق الرَّفق فينا مُغيما؟
هَلمُّوا نُنـذِّ الطفل دَرَّ معارفٍ ودينٍ وإقـدام ونيـل فنغنما
فخيرُ الورى من كان بالعلم نيِّرًا وفه منقادًا وفي الحرب ضيغما

جهينة الماسون والمدارس اللادينية

حديث جرى بين جُهَيْنَة احد وجهاء المسلمين (البك) واحد ادباء المسيحيين (الزائر)

ذهب « الزائر » المسيحي ليقوم بالواجبات الوداديَّة في معرض عيد الفطر من شهر رمضان المنصرم نحو صديقهِ « البك » المومأ اليه (وسمّيناه جهينـة الماسون مراعاة للظروف) وبعد ان تجاذبا ماديًّا اطراف الحديث دار الكلام على الماسونيَّة فكان ما يأتي :

البك هل انتظمتَ في مصافّ المحافل الماسونيَّة ؟

الزائر كلَّا. ولن اريد الانخراط في سلك شيعة تسعى وراء هدم النظامَيْن الديني والمدني

البك حسنًا تصنع لأن ما من صاحب ضمير دخلها وسبر غورَها الَّا انسحب منها نادمًا على ما فعل مغتاظًا ممَّا سمعهُ ورآه فيها

الزائر وسعادتكم هل كنتم من عدد اعضائها ؟

البك نعم. واخجلُ من قولي « نعم » . ولكنني لم البث ان تركتُها ومنذ ثماني عشرة سنة لم ادخل محفلًا

الزائر وما الذي حمل سعادتكم على الانفصال عنها ؟

البك كنت قد دخلت الماسونية ظنًّا مني انها جمعية خيرية ادبيـة انسانية كما موَّهوا وكذبوا عليَّ . غير اني رأيتُ عكس القضية اذ وجدتُني بين قوم اكثرهم ليسوا